مجلة القرطاس
مجلة علمية محكمة نصف سنوية
تصدر عن الجمعية الليبية للعلوم التربوية والإنسانية ISSN 3135-4564
https://alqurtas.alandalus-libya.org.ly/ojs/index.php/qjhar/index

ثنائية الحرمان والعطاء في رواية (جوهرة تعانق بريقها) دراسة تحليلية

وداد ميلود الهـــــــادي*
قسم اللغة العربية ، إدارة الدراسات العليا والمعيديـــن
كليـــــــة الآداب الأصابعـــــــة ، جامعـــــــــة غريان ، ليبيا
ambylsanalsady@gmail.com
0009-0000-2292-0148
تاريخ الارسال 2026/5/12م تاريخ القبول 2026/6/17م

The Duality of Deprivation and Giving in the Novel "A Jewel Embracing Its Beilliance" An Analytical Study

WIDAD MILOUD ELHADI

Research Summary :
The novel is distinguished by its clear narrative , highlighting the contrast between the opportunities and feelings the characters lose and the strength or moral compensation they later gain . Deprivation thus transforms into a motivation for giving and growth .
The novel revolves around the harsh psychological social struggles faced by the protagonist , stemming from emotional and human deprivation .
This suffering drives her to discover herself and build her inner strength , as her personality develops from weakness to the capacity for giving and influencing others .
Pain can be a path to guidance and positive transformation , and its essence may be that true giving is often born from the womb of deprivation .

الملخص :
تتميز الرواية بالوضوح في سرد الأحداث وهي إبراز التناقض بين ما تفقده الشخصيات من فرص أو مشاعر ، وما تكسبه لاحقاً من قوة أو تعويض معنوي ، بحيث يتحول الحرمان إلى دافع للعطاء والنمو .

حقوق النشر © للمؤلف/للمؤلفين 2025. ينشر هذا البحث بموجب رخصة المشاع الإبداعي Creative Commons (CC BY-NC 4.0)

وتدور الرواية في صراعات نفسية واجتماعية قاسية التي تواجه البطلة من حرمان عاطفي وإنساني . وهذه المعاناة تدفعها لاكتشاف ذاتها وبناء قوتها الداخلية مع تطور شخصيتها من الضعف إلى القدرة على العطاء والتأثير في الآخرين . والألم قد يكون طريقاً للنضج والتحول الإيجابي وقد يكون مفادها العطاء الحقيقي يولد غالباً من رحم الحرمان .

الكلمات المفتاحية : الحرمان والعطاء ، رواية (جوهرة تعانق بريقها

المقدمة :

الحرمان في رواية جوهرة تعانق بريفها (خليفة العتيري) الرواية بنية دلالية تستفيد من أهم انجازات النص السردي ، وتحاول البحث عن حلول لمعظم الآراء والأفكار انطلاقاً من داخل النص لتبرز ظواهر اجتماعية وتتجاوز العرض إلى التفكير الجدي في وضع الحلول لمشاكل الناس عن طريق الإقناع عبر التأثير النفسي والمعنوي الذي يحدث داخل النفس الإنسانية وهي هنا (المتلقي) بوصفه عنصراً فاعلاً في المجتمع .

يتم إنتاج الدلالة من خلال فعل الكتابة والقراءة ويأتي النص توسيعاً للخطاب " كمظهر نحوي أو بنيوي وانتقالاً به من مستوى إلى آخر وظيفي " [1] .

وتعد رواية (جوهرة تعانق بريفها) للمبدع الليبي الدكتور خليفة العتري مظهراً صادقاً يعكس آمال المجتمع الليبي وتطلعاته من خلال الفرد والأسرة والمجتمع (الصغير أولا : القرية) ثم المدينة والوطن بمجمله .

ويعد معاودة القراءة لهذا النص يتضح للمتلقي أن الرواية تعالج قضية الحرمان التي كانت تعاني منها بلادنا ليبيا خلال السبعينيات من القرن الماضي ويدل على ذلك الوصف الذي قدمه الكاتب باقتدار معبراً به عن حالة الحرمان الاجتماعي في بلد كان من المفترض أن تنعم بالثروة النفطية التي منحها الله تعالى لأهل هذه البلاد الطيبة ... ولمحاولة تتبع هذه الظاهرة (الحرمان) اتجهت هذه الدراسة البحثية إلى تتبع العناصر الدالة على ذلك وما صاحبها من حلول كان أغلبها بفعل أهل البلدة أنفسهم بتوفيق من الله تعالى . وكان عنوان هذه الدراسة : (الحرمان في رواية جوهرة تعانق بريفها لـ(خليفة العتيري)) .

● تساؤلات البحث :

يطرح البحث عدة أسئلة تكون إجابتها المحتملة محاور للدراسة والتأمل واستخلاص النتائج ، ومن هذه الأسئلة :

- ما الحرمان ؟ وما آثاره المادية والمعنوية ؟
- هل الحرمان الاجتماعي أمر مفروض أم يمكن التخلص منه ؟
- كيف عرض المبدع هذه الظاهرة ؟

- **أسباب اختيار الموضوع :**

1- لفت الأنظار والأذهان إلى الإبداع الليبي (الرواية بشكل الخاص) وما يتبع ذلك من متعة القراءة والتفكير الفعال في المشكلات التي تعرض والحلول المقترحة .
2- ظاهرة الحرمان الاجتماعي موجودة بالفعل في المجتمع الليبي لكنها لا تقف عائقاً أمام التقدم الاقتصادي والفكري وذلك بالعزيمة والإصرار والتعاون ... .
3- الرواية الليبية – في الغالب – ذات موضوع هادف وليست ترفاً ومن النصوص الهادفة رواية (جوهرة تعانق بريفها) .

- **منهجية البحث :**

اعتمد هذا البحث المنهج التحليلي الوصفي الذي يقوم على تتبع جزئيات المادة وتحليلها وصولاً إلى الفكرة العامة .

- **تقسيمات البحث :**

تكون هذا العمل من مطلبين أثنين وتقديم وخاتمة على النحو التالي :

المطلب الأول : تقديم رواية (جوهرة تعانق بريفها) :

خصص لدراسة موضوع الرواية والنهج السردي الذي سلكه المبدع .

المطلب الثاني : الحرمان بين الأسى والرجاء :

خصص لتتبع السرد الذي يرصد من خلاله المبدع ظاهرة الحرمان وكيف تم – تحييدها – عند بطلة الرواية وأسرتها والمجتمع عموماً .

وقبل الشروع في هذه الدراسة يلزم توضيح بعض المصطلحات والمفاهيم التي تيسر فهم الرواية من خلال هذه الكلمات المفتاحية : النص – الرواية – الحرمان :

1- النـــــص :

من المعلوم أن النص : مدونة كلامية " يتميز بانفتاحه كتابياً ودلالياً ، ويبقى مفتوحاً على القراءة والبحث " [2] .

وهذا يفسر ما ذهب إليه بنص الباحثين من أن النص السردي (والروائي بشكل خاص) يتناول مستويات : الحكي والخطاب ويتجاوز صلته بالموضوع الأدبي كما يرى رولان بارت وجوليا كريستيفا [3] .

2- الرواية :

الرواية نوع من القصة ، والقصة لفظ جامع تنضوي تحته أجناس وضروب لا يحصيها عد [4] .

وقد تأخر ظهور الرواية في الأدب العربي إلى العصر الحديث وذلك بعد التواصل مع الآداب الغربية التي اهتمت بعالم الرواية وليس معنى هذا خلو أدبنا العربي من هذه السرديات فقد ظهرت في أدبنا العربي : المقامات والأخبار والسير والحديث على ألسنة الحيوان والطير ... كما ظهرت عندنا القصة الشعرية ، ومن أراد التحقق فيمكنه قراءة معلقة لبيد أو أشعار عنترة أو مغامرات عمر بن أبي ربيعة

3- الحرمان :

لغة : مصدر الفعل (حرم) ويعني : المنع أو النقص [5] ، وقد ورد في القرآن الكريم بصيغ لغوية مشابهة لها الدلالة نفسها (المنع) ومن ذلك قول الله Y : (وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ) [6] .

وذلك لبيان رعاية الله تعالى لنبيه موسى υ فتكون مرضعته الحقيقية أمه ، ويتضح من هذا القول الكريم أن المنع يأتي من الخارج وفي دنيانا اليوم مظاهر دالة على ذلك فالمستعمر يحرم الشعوب ثرواتها وحريتها : المنع من الخارج والإنسان المحروم مغلوب على أمره إلى أن يفرّج الله تعالى عليه .

والحرمان في الاصطلاح الأدبي : لا يبتعد كثيراً عن معناه اللغوي السابق المأخوذ من قواميس اللغة فإذا نقص أمر ما على الفرد أو الجماعة فذلك حرمان ، وله أقسام ستذكر في حينها عند التطبيق في هذا البحث ... .

وقبل الخوض في ميدان البحث لابد من إلمامة سريعة حول الرواية موضوع الدراسة :

قراءة في العنوان :

الجوهرة شيء ثمين ، والبريق يناسبها دلالة على النقاء والألف وبعد قراءة النص كله يتضح أن الدكتور الذي أشرف على بطلة الرواية ورأى بعينه نقاء نفسها وحرصها على أداء عملها وحبها لأهلها ووطنها – هو الذي أطلق هذه العبارة المعبرة – بنية الرواية : كانت على نسق المتواليات السردية ولم يضع المبدع فقرات للنص أو يضع أرقاماً أو عناوين فرعية ... .

المطلب الأول ـ تقديم رواية (جوهرة تعانق بريقها) :

العناصر البنائية للرواية :

ينهض السرد الروائي على أسس ثابتة وضعها النقاد ، والتزم بها المبدعون وذلك ليكتمل العمل بما يحقق رضا كل من المبدع والمتلقي ... .

1- الشخصيات :

ويُطلق عليها (الفواعل) وهي التي " تصطلح بالدور الأكبر في تطوير الحدث ، فهي التي تقود الفعل الدرامي وتدفعه إلى الأمام ... " [7] .

وعلى هذا الأساس فإن أهم عناصر الرواية يتمثل في الشخصيات التي تقوم بالأعمال المختلفة في الرواية .

والشخصية في الرواية كما يرى الدكتور عبد الملك مرتاض : " كائن حركي ينهض في العمل السردي يوظفه دون أن يكونه ، وهي التي تُسخر لإنجاز الحدث الذي وكل الكاتب إليه إنجازه " [8] .

فهو يرطب بين الشخصيات وما تقوم به من أحداث ولا يختلف هذا الرأي عن سابقه ولكن يوضحه ويؤكده .

وفي رواية (جوهرة تعانق بريقها) تعد شخصية (أرياف) محور العمل السردي على امتداد الرواية وبذا تعد (البطلة) حيث تدور الأحداث حولها وبواسطتها وتظهر النتائج الإيجابية في كل مرة وفي أحيان قليلة تكون أحداثها سلبية .

وقد اختار السارد هذا الاسم عن قصد ليربط الفتاة بالبيئة التي حولها ، يقول : " أختار على لابنته ومن الأسماء (أرياف) شعوراً منه بطبيعة المعاناة في تلك الأرياف " [9] .

وقد أجاد الكاتب في اختيار هذا الاسم لدلالته وندرته في الوقت نفسه وكان يقدم هذه الشخصية وغيرها من الشخصيات المصاحبة بطريقة مباشرة وهذا يحمل في طياته صدقاً ظاهراً بلا رياء فيه ولا تكلف ، حيث تمنح الشخصية الحرية في التعبير عن نفسها " [10] .

وبالفعل كانت أرياف تفعل ذلك في مواضع متعددة من الرواية : " كانت الحصة الأولى مادة قرآن كريم بدأ المعلم بالقراءة فقال أرياف : أنا يا أستاذ أحفظ هذه السورة " .

ويفهم من هذا أنا (البطلة) كانت على استعداد لتلقي العلوم قبل دخولها المدرسة أي أن الكاتب يمهد يسيرة هذه الشخصية (الفذة) منذ الفقرات السردية الافتتاحية وكأنه يقول

للقارئ : أنت أمام فتاة أعطاها الله قدراً من العلم ومن الحرص ومن الأخلاق وذلك عندما أشار إلى القرآن الكريم في هذا المقطع .

وقد ظهر في الرواية عدد من الشخصيات الإيجابية (ذات النفع) ومنها : الأب الذي كان مرافقاً لابنته في دراستها الأولية والجامعية حريصاً على تلبية كل رغباتها

وكذلك شخصية الأم : التي غمرت (أرياف) بكل حب وحنان ورعاية .

وشخصية الدكتور (نجم) الذي شجع (أرياف) وأعجب بعلمها وحرصها وشخصيتها حتى قرر أن يتزوجها .

وشخصية (فاطمة) الصديقة الوفية ، ويلاحظ أن الكاتب لم يذكر شخصيات سلبية كأنه أراد أن يحافظ على نقاء جوهرته (روايته) هذه ، فلم يرد إلا موقف واحد أشير فيه إلى سائق دخل السجن بسبب حادث سير ارتكبه وكان الأمر عابراً وخرج من سجنه بسرعة .

2- الأحـــــــداث :

وهي جملة الأفعال التي تتم بواسطة الشخصيات في العمل الروائي ، وقد تكون هذه الأحداث طبيعية ويكون لها أثر ضخم مثل الزلازل والفيضانات والبراكين .

وفي الرواية تكون الأحداث : " ما يمارسه أشخاص بإقامة علاقات بينهم ينسجونها وتنمو بهم فتتشابك وتتعقد وفق منطق خاص بها " [11] .

ومعنى هذا أن تكون الأحداث مقنعة تتم وفق علاقات محددة بين (الفواعل) كما تم ذكره ، ويمكن أن تكون الأحداث نفعية (إيجابية) مرحب بها من قبل المتلقي وذات أثر في دفع السرد نحو نتائج مطلوبة ومن ذلك في رواية (جوهرة ...) :

" استمرت (أرياف) في دراستها وكانت في الفترتين تحصد التفوق بالترتيب الأول ، إلى أن جاء يوم تكريم الأوائل مع نهاية السنة الدراسية ، حيث طلبت المدرسة من أولياء أمور الطلبة الأوائل حضور حفل التكريم الذي تقيمه المدرسة ، وصلت الدعوى على والدها ... " [12] .

الأحداث هنا سعيدة : نجاح متكرر – حفل تكريم (اعتادت المدرسة على إقامته) ، مشاركة من ولي أمر ينتظر هذا الأمل وقد وردت في الفقرة السابقة أزمنة دالة على أحداث : يوم – السنة ، وكذلك مصادر دالة على أحداث : حضور – تكريم ، ويلاحظ استعمال الأفعال بأكثر من صيغة مثل : طلبت – وصلت – استمرت – كانت ، أفعال ماضية والفعلان المضارعان : تحصد – تقيم .

ويمكن تقسيم الأحداث حسب الزمن في هذه الرواية على النحو التالي :

أ- التتابع :

ويقصد أن تكون الأحداث منطلقة إلى الأمام وفق سير منطقي معقول ، ومثال ذلك في رواية (جوهرة ...) أن أرياف سارت في حياتها العلمية والمهنية وفق تعاقب زمني مترتب لاحقه على سابقه (ولادة – نشأة – دراسة – تخرج - ...) يقول السارد :

" بدأت أرياف تتابع دروسها وتحصد النجاح ... رجعت لكوخهم وحددت جدولاً للمطالعة ... بدأت فترة الامتحان ... ذكر المذيع اسم المدرسة ، وقفت أرياف وشحب لون وجهها وإذ بالمذيع يعلق الطلبة الناجحون الأوائل : أرياف علي " [13]

وقد كان أغلب السرد في الرواية على هذا المنوال من حيث تسطير الزمن .

ب- الوقفة الوصفية :

حيث يصف الراوي مكاناً أو شخصية أو حدثاً يبطئ به السرد ويكون ذلك على شكل " وقفات في حالة سكون تهدف إلى إعطاء تقارير لغوية عن أشياء أو أشخاص في وجودها المحض خارج أي حدث وخارج أي بعد زمني " [14] .

فهذه الوقفات تكسر النهج التتابعي للزمن دون أن تكون ثقلاً أو ملاً أو مضايقة للمتلقي ، ومن ذلك قول السارد : " الحياة مجبولة على التعب والشقاء ، وترياقها الجميل هو الصبر والتجّلِد ... ! فحوادثها طارئة ولكنها زائلة ، فإذا كان الفرح في الصالون ، فتنشى عن الترح في عتبة الدار " [15] .

الوصف هنا لمسيرة الحياة البشرية عامة وهذا الوصف يبطئ السرد قليلاً .

ج- الاستباق :

ويسمى الاستشراف ويراد به الإشارة إلى حدث ما في الرواية بشكل مسبق ، بمعنى أن السارد ينتقل من الزمن الحاضر ليسرد أحداثاً من المستقبل فهي قفزة إلى المستقبل تتخطى تسلسل الأحداث [16] .

ومن أمثلة ذلك في رواية (جوهرة تعانق بريقها) حديث أرياف لأمها : " سوف أدخل يا أمي الطب من أجلك ومن اجل غيرك من أبناء هذه القرية الذين يعانون من نقص في كوادر الطب ... سأدخل الطب وأتخصص فيه وأعرف علاج هذا السم الذي أتعبك " [17] .

يبدو من خلال هذا الحوار بين البطلة وأمها التي شفيت حديثاً بعد معاناة قاسية نتيجة لدغة الثعبان – حرص أرياف بل وتصميمها على دخول كلية الطب وهي الطالبة المتميزة في العلم ويوحي كل هذا بأن دخولها للطب – الذي حدث بالفعل فيما بعد – كان ممهداً له بهذا الاستباق الزمني .

د- الاسترجاع :

ويسمى السرد الاستذكاري ويعني : " الرجوع بالذاكرة إلى الوراء البعيد أو القريب " [18] .

ومن أمثلته في رواية (جوهرة ...) :

" أبحرت أم أرياف في ذكرياتها المؤلمة ، يوم كانت تعيش التعاسة بفقدها القدرة على الإنجاب إلى أن سخر الله لها ولادة هذه الفتاة الجميل أبحرت في خيالاتها القديمة وبدأت تقارنها بفترة ما بعد مجيء أرياف " [19] .

3- الأمكنة :

يمثل المكان البيئة الأساسية لتشكيل الحدث الروائي ، فهو : " مسرح الأحداث والهواجس التي تضعها الذاكرة التاريخية " .

ولعل أفضل من تحدث عن الأماكن : الشعرية الجاهليون الذين وصفوا الرسوم والأطلال : ناجوها واستنطقوها كما فعل امرئ القيس وعنترة بن شداد وطرفة بن العبد وغيرهم .

وتظل الأماكن الوتد الذي تشدّ إليه الذاكرة ، وخير الأماكن هي تلك التي تلتقي فيها بمن تحب !.

ومن الأماكن الأليفة التي تطالع مآرئ (جوهرة ...) :

(الكوخ) : ذلك البيت القروي المتواضع الذي قضّت فيه (البطلة) أزهى أيام عمرها وعندما بسمت لها الحياة وانتقلت الأسرة إلى بيت عصري قالت لأمها : " سننقل يا أمي هذا الكوخ معنا في البيت الجديد ليذكرنا بسنوات العوز حتى لا ننسى ماضينا ونغتر ، فابتسمت حينما نرحل ونتركه كأنني تركت عزيز ... " [20] .

وهكذا نقلوا معهم ذلك الكوخ وأصرت (البطلة) أن تترك والدتها كل الأدباش القديمة في الكوخ ...

ومن الأماكن الأليفة الأخرى في الرواية (الغرفة) التي كانت تسكنها أرياف في بيوت الطالبات بالجامعة ... .

أما الأماكن المعادية فهي قليلة في الرواية ومنها غرفة التوقيف بمركز الشرطة حيث تم التحفظ على السائق الذي عمل الحادث وأصّر (على) على أن يخرج من التوقيف بعد أن تنازل لصالحه .

ويلاحظ أن المبدع لم يكثر من الإشارة إلى الأماكن المعادية ولعله أراد من ذلك ألا يفسد لحظات الصفاء والأنس التي كانت ترافق (البطلة) فقد كانت الأماكن

تتغير نحو الأفضل حيث انتقلت أرياف إلى الحياة والعيش في أماكن أكثر رفاهية فالحياة أمامها كانت مفروشة بالورود لأنها نالت رضا الله ثم رضا الوالدين .

ومن الأماكن المفتوحة في الرواية : (حديقة الحيوان) يقول السارد : " شاهدوا لأول مرة أنواع [21] من الحيوانات غير مألوفة وكانت أم أرياف تعلق على كل قفص تمر به ... " [22] .

ومن تلك الحيوانات التي كانت غريبة عليهم الأسد والقرد وكانت أم أرياف تخاطب تلك الحيوانات على سبيل المجاز – وتعبر عن عجبها من وجود هذه الحيوانات وقد تم سجنها وحرمانها من الحركة الحرة في أرض الله الواسعة تقول : " أنت مكانك ليس هنا في هذا القفص أنت مكانك صحراء واسعة تركض فيها كما تشاء " [23] .

وهذا الخطاب البلاغي كان موجهاً إلى الغزال على سبيل التمني .

ومن الأماكن المفتوحة (فناء المدرسة) يقول السارد : " دخلوا فناء المدرسة فوجدوها قد ازدانت بمنصة شرفية كتب على واجهتها عبارات الترحيب بيوم تكريم الطلبة الأوائل ومجموعة كراسي للضيوف ... " [24] .

(الفناء) هنا مكان فسيح واسع مفتوح ، وفي الرواية أماكن مشابهة أخرى مثل (الساحات) و(المقاهي) ... .

المطلب الثاني - سردية الحرمان بين الأسى والرجاء :

1- الحرمان المادي :

يقصد به بنقص المنافع التي يمكن ملاحظتها بالحواس وتدرك بوضوح لوجود علاقات واضحة تدل عليها ، فإذا نقصت هذه المنافع أو الأدوات وكان لها أثر كبير فإن فقدها يُعدُّ حرماناً مادياً ويمكن علاجه أو إصلاحه في كثير من الحالات وقد ينعدم علاجه أحياناً .

يقول السارد : " يا لها من عقليات تتدخل بالحكم على قضاء الله وقدره ... هل العقم عيب مادام بقضاء الله وقدره ؟ ! إن من أولادكم فتنة " [25] ، تدل هذه الفقرة على أن تلك الأسرة التي تدور حولها الرواية ، كانت تعاني من هذا الحرمان والعقم " فلم ترزق بمولود لفترة طويلة ، وهذا حرمان مادي لأن الأسرة – لو استمر هذا الداء (العقم) – فإنها لن تزيد ! وبالتالي فإن الأيام والسنوات التي كانت فيها الأسرة تتكون من اثنين فقط كانت أياماً وسنوات حرمان وقد جاء الفرج بعد صبر طويل فقد فرح الرجل وهو (علي) بأمرين : " الأول نجاة زوجته من الموت نتيجة المخاض الأليم ،والثاني رزقه الله بمولود لأول مرة في حياته ولو كانت أنثى ، لأنه كثير ما عير هو وزوجته بالعقم ... ! " [26] .

ويلاحظ أن الكاتب لم يسهب في وصف حالة الأسرة وهي تعيش حالة اليأس ، كما أنه لم يبتعد كثيراً عن سرده حتى تطول المسافة الزمنية بين الانتظار والأمل .

ومن هذا النوع (المادي) ما يتعلق بسكن تلك الأسرة ، فقد كانت تعيش في كوخ وتفتقد المنزل اللائق المناسب يصف السارد وضع الأسرة في بداية السرد فيقول : " دخلت العجوز ذلك الكوخ البئيس ، تساعد عائشة ... " [27] .

إنه فقد مادي ظاهر فالكوخ مكان ضيق مغلق سيء السمعة حيث بخجل يسكن الأكواخ وأحياناً يذكر سكنه في الكوخ كأن الأمر عار حيث يعبر هذا الموقف من ضنك المعيشة وقسوتها وقد أجاد المبدع في اختيار لفظ (بئيس) ليعبر به عن مدى الفقر ويعكس حالة العوز والفقر عندما يعجز الإنسان عن بناء المأوى المناسب .

وقد طالت المدة التي حشرت فيها الأسرة في هذا المكان غير المرغوب فيه ، لكن بالصبر والتعب والشقاء واجتهاد (البطلة) يتغير أحوالهم : " بدأت أرياف تراجع خطتها في تحقيق أحلامها التي بدأت تقترب منها شيئاً فشيئاً من خلال نشل عائلتها من حياة الكوخ إلى حيث المسكن اللائق " [28] .

وقد تم لها ذلك حيث تم شراء مسكن حديث بالقرية نفسها وكانت فرحتهم لا توصف : " نامت العائلة الليلة الأخيرة في ذلك الكوخ .. جلست أرياف تعيد شريط الذكريات ومعاناتها في هذا الكوخ الذي ارتبط بحياتها وكان ملهم تحديها " [29] .

ولقد كان حرمانهم من البيت السعيد حرماناً مؤقتاً برغم طول فترة صبرهم التي استمرت من قبل ولادة أرياف وطيلة سنوات دراستها إلى أن تم تعيينها وهي فترة طويلة مرت من أعمارهم .

وقد طال هذا النوع من الحرمان الاجتماعي القرية بأكملها وذلك من خلال نقص الخدمات الأولية بشكل خطير يهدد حياة الناس في تلك المنطقة البعيدة عن المدن ، يقول السارد : " وما هي إلا لحظات وحضرت سيارة الإسعاف بمعية ممرض الذي قام على الفور بحقنها بمصل مضاد للسم ، وحاول أن يطمئن أرياف بأنها سوف تشفى " [30] .

من خلال السرد يبدو أن هذا العلاج قد وصل متأخراً ولحسن الحظ فإن (عائشة) الأم الملدوغة قد نجت بعد هذا المصل وتلك الرعاية السريعة التي أتتها مثل نجدة خارج القرية لقد كانت القرية كلها محرومة من هذا (المصل) لأنه يحتاج إلى (برّاد ، ثلاجة) والمنطقة لا توجد فيها الكهرباء ولا يوجد فيها مستشفى بل مركز صحي صغير ليس به الأدوات اللازمة .

وقد ولّد هذا الشعور رغبة جامحة ، وهذا ما حصل بالفعل يقول السارد بعد ذلك متحدثاً على لسان البطلة : " إن الذي جعلني أدخل كلية الطب هو ذلك الموقف الرهيب يوم لدغت والدتي بثعبان ولم نجد في القرية من يسعفها " [31] .

ونفذت وعدها وتبرعت بجزء من المكافأة التي منحت لها لتفوقها وحرضّت أبناء القرية على بناء مستشفى وقد تحقق لها ذلك قبل وفاتها بفترة وجيزة ووضعوا اسمها على هذا المرفق الصحي المتكامل الذي يحتوي – فيما يحتويه – على المصل المضاد للسم .

وهكذا يضع المبدع حلولاً للمآسي التي تحدث أحياناً في المجتمع ولكن بالتعاون والحرص والإخلاص تتحقق الآمال ويزول الحرمان المؤقت .

2- الحرمان المعنوي :

ويفهم منه أن الحرمان قد يكون متعلقاً بالنفس البشرية وما يتعلق بها من شعور بالفرح والطمأنينة والهدوء النفسي وهذه الراحة لا تكون دائمة عند البشر ولكن يفقدها الناس أحياناً بشكل مؤقت أو بشكل دائم في أحيان قليلة ومن قبيل هذا الأمر في رواية (جوهرة ...) ذلك الحرمان المعنوي أو النفسي الذي عانت منه أرياف عندما فارقت أمها وهي تغادر الكوخ على بيوت الطالبات بالجامعة وقد جرى حوار بينها وبين أمها لحظة الوداع يبين الموقف : " فقالت لها أمها بشيء من الانزعاج : خير إن شاء الله كل ما تملكه يا بنيتي تحت تصرفك من مال ونحوه ... فقالت : لا يا أمي ليس هذا ما ينقصني (وأغرورقت عينها بالدموع) : فراقك المر يا أمي ... ! " [32] .

عبرت عن مرارة الحرمان حيث جعلت الفراق أمراً لا يطاق وهنا إشارة إلى المعاناة التي تنتظرها بخوف ورهبة ولكن يوجد أمل ورجاء وذلك بالصبر ومحاولة تعويد النفس على هذا الفراق وأمها تشجعها عن مقاومة هذا العذاب النفسي القادم " " لابد أن تتعودي على فراقي ومن حسن الحظ أنك تتغيبين أسبوعاً ... " .

وقد أجاد المبدع في وصف لحظات الوداع إذ يقول : " إنه الوداع الرهيب ، سينزع بمخالبه البشعة الطفل من حضن الأمومة ليرمي به في براح الضياع " [33] .

وبالرغم من صعوبة هذا الفراق ووصفه بالرهبة فإن الأمل آتٍ بعد انتظار وصبر فيتم اللقاء والفرح ، يقول السارد : " وما أن لمحت أرياف أمها واقفة أمام الكوخ إلا وانطلقت تسابق الريح ركضاً إلى أن وصلت إليها وهي تعانقها والدموع تملأ عيونها وأمها تردد : وحشتين يا أرياف الكوخ في غيابك مظلم " [34] وبذلك فإن الحرمان في هذه الحالة مؤقت وقد زال أثره النفسي بغياب المؤثر .

وفي موقف سردي آخر : " كانت أيام متعبة ، فقد أتعبني سم الثعبان على أنفاسي ... وعيوني تقطر دمعاً لقد هزني الشوق لأرياف ، أرياف هي طبي ودوائي " [35] .

الأم تعاني آلاماً مزدوجة بعضها يتعلق بجسدها المنهك بسبب السم والمصل وهذا ينظر إليه بوصفه جانباً مادياً ، لكن الأثر النفسي كان أعمق (الدنيا ثقيلة) على نفسها وعيونها (تقطر دمعاً) والشوق لأرياف يهزها هزاً .

ولتعويض هذا الحرمان فإن الطبيب طلب من والد أرياف أن تحضرها لأمها بالمستشفى وقد حصل ذلك فقالت الأم : " أحسست أن الدنيا كلها قد ابتسمت لي " [36] ، ويدل هذا على أن علاج الآلام النفسية يتم بأمور نفسية وشعورية مناسبة وقد أبدع الكاتب في حسن الربط هذا لأن : " فن الروايات جماله وتأثيره متوقفان على حسن سبكة ولطف أسلوبه [37] .

وقد راعى خليفة العتيري هذا في رواياته باقتدار !

3- الحرمان المؤقت :

وفي هذه الحالة قد يكون الحرمان مادياً أو معنوياً ، ومن أمثلة ذلك في الرواية : عندما طلبت أرياف من أمها أن تخرج معها صحبة الأب إلى المدينة حيث دار بينهما الحوار التالي :

– ليتك تذهبي معنا يا أمي .. !

- ليت الأمر كذلك يا بنيتي ، مازالت المرأة حبيسة البيت لا تستطيع مغادرة بيتها إلا لأهلها أو المناسبة الاجتماعية أو المقبرة " [38] .

وهكذا عبرت الأم عن حرمان المرأة في بلادنا في تلك الفترة التي أشار إليها الكاتب بالسكن في الأكواخ وانعدام الخدمات في القرى ما يدل على أن ذلك كان خلال الستينات من القرن الماضي وبعده بقليل – زمن الكتابة – أما زمن التلقي فهو ممتد إلى يوم الناس هذا وسوف يستمر ... وقد شهد هذا الزمان تطوراً مدنياً مذهلاً حيث خرجت المرأة في بلادنا من قوقعتها وأصبحت تخرج للعمل والتسوق والدراسة ولم تعد حبيسة الجدران .

إن هذا الانتقال – برغم أنه كان بطيئاً – حوّل المرأة إلى مكانتها الصحيحة في المجتمع بوصفها عاملة ومؤثرة وحبسها في الماضي كان مؤقتاً .

ويقول السارد في موضع آخر : " سمعت أن سائق السيارة متحفظ عليه في مركز البوليس ، فأرجوكم أطلقوا سراحه فهو صاحب أسرة والحادث غير مقصود وإنما هو قضاء وقدر " [39] .

قال (علي) : هذا الكلام للدكتور (نجم) ومن خلال هذا الحوار الذي عبر عن نبل أخلاق من جهة وحسن تقدير وشكر من جانب الدكتور يتضح أن السائق لم يحرم من حريته بسبب حجزه في المركز فقد كان لفترة محدودة لكنه لابد أن يكون قد أخذ درساً لن ينساه

4- الحرمان الدائم :

وهو المنع الذي لا رجاء فيه ولا وصل ، بل قطيعة دائمة تتم وفق ظروف القضاء والقدر وأحكام الطبيعة الرهيبة التي وضعها الله تعالى لحكمة بالغة تقصر أذهان البشر لفهم حقيقتها .

ومن أمثلة الحرمان الدائم في الرواية : حرمان الأسد من حريته وحبسه في حديقة الحيوانات ، ومن غير المعقول أن يترك هذا الأسد طليقاً بعد أن (تحصلوا عليه بالكاد) ولذلك فسوف يبقى إلى أن يموت في ذلك المكان الضيق بالنسبة له وقد أوجزت (أم أرياف) ذلك الموقف كما يروي السارد بقولها : " عجبي ، رأيت الأسد يسجن في قفص ، الأسد الذي يسمى ملك الغابة " [40] ، وكذلك الأمر بالنسبة للغزال .

أما الحرمان الدائم الذي يمثل الأسى والحسرة ولا راد لقضاء الله تعالى فيه فهو الموت ... ماتت بطلة الرواية إثر حادث سير أليم ، وأجهش الوالد بالبكاء : " وقف على جثمان أرياف وهو يقول : عرفت يا بنيتي أن رحيلك قريب من خلال بريق جوهرتك " وقال لزوجته المفجوعة : " أرياف يا عائشة خفت بريق جوهرتها !!" [41]

وهكذا فقد بدأت الرواية بالفرح بقدوم وليدتهم التي أسعدتهم ، وأسهمت في رفعة مجتمعها الصغير (القرية) ونقلت أسرتها من كوخ بسيط إلى منزل مناسب وانتهى السرد بأمر غير متوقع وهو المأساة بموت أرياف ويسمى هذا السقوط الأخير في العمل السردي : الحبكة الهابطة أو النازلة وهي التي تنتهي بخسارة أو رسوب أو موت !

بيان تضارب المصالـــح:

يُقر المؤلف بعدم وجود أي تضارب مالي أو علاقات شخصية معروفة قد تؤثر على العمل المذكور في هذه الورقة

الهوامش :

1- انفتاح النص الروائي ، النص والسياق ، سعيد يقطين ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، للمغرب ، ط الثانية ، 2001م ، (من المقدمة) .
2- انفتاح النص الروائي ، 6 .
3- انفتاح النص الروائي ، 6 .
4- ينظر : الرواية مقوماتها ونشأتها في الأدب العربي الحديث ، الصادق قسومة ، مركز النشر الجامعي ، تونس ، ط الأولى ، 2000م ، 15 .
5- لسان العرب ، ابن منظور ، مادة (ح.ر.م) .
6- سورة القصص : الآية 12 .
7- المعجم الوسيط ، أنس إبراهيم وآخرون ، مطبعة مصر ، 1972م ، 210 .
8- تحليل الخطاب السردي ، ديوان المطبوعات الجزائرية ، 1995م ، 126 .
9- هيفاء علي ، التمرد في الشخصية الروائية ، مجلة عالم الفكر ، القاهرة ، العدد 178 ، يناير ، 2005م ، 25 .
10- جوهرة ، 18 .
11- الرواية مقوماتها ونشأتها في الأدب العربي الحديث ، 32 .
12- جوهرة ، 22 .
13- المصدر نفسه ، 40 .
14- السرد في مقامات الهمذاني ، أيمن بكر ، الهيئة المصرية للكتاب ، ط الأولى ، 1988م ، 37 .
15- الجوهرة ، 40 .
16- ينظر : إيقاع الزمن في الرواية العربية المعاصرة ، أحمد حمد النعيمي ، المؤسسة العربية للدراسات ، بيروت ، ط الأولى ، 2003م ، 39 .
17- الجوهرة ، 43 .
18- بنية الشكل الروائي ، حسن بحراوي ، المركز الثقافي ، بيروت ، ط الأولى ، 1990م ، 121 .
19- الجوهرة ، 51 .
20- المصدر نفسه ، 91 .
21- هكذا في الأصل وصوابه (أنواعاً) مفعول به .
22- جوهرة ، 34 .
23- المصدر نفسه ، الصفحة ذاتها .
24- نفسه ، 24 .
25- نفسه ، 7 .
26- نفسه ، 8 .
27- نفسه ، 8 .
28- نفسه ، 90 .
29- نفسه ، 90 .
30- نفسه ، 7 .
31- نفسه ، 84 .
32- نفسه ، 63 .
33- نفسه ، 63 .

34- نفسه ، 68 .
35- نفسه ، 57 .
36- نفسه ، والصفحة ذاتها .
37- الرواية مقوماتها ونشأتها في الأدب العربي الحديث ، الصادق قسومة ، مركز النشر الجامعي ، تونس ، ط الأولى ، 2000م ، 153 .
38- جوهرة ، 12 .
39- المصدر نفسه ، 76 .
40- نفسه ، 34 .
41- نفسه ، 103 .